تعريف نظرية الأدب

التعريف اللغوي: كلمة نظرية مأخوذة من الفعل نظر بمعنى رأى العقلية وليس البصرية .

التعريف الاصطلاحي: هي مجموعة الآراء المتسقة العميقة المستندة الى فلسفة معينة.

كلمة نظرية تستخدم في مقابل الأمور التطبيقية الواقعية

النظريات أنواع هناك النظريات العلمية الرياضية الفلسفية السياسية الأدبية وهي محل حديثنا .

تنزع نظرية الأدب الى معالجة الأدب بطريقة أقرب الى العلمية ، فتستخلص النتائج وهي تدرس الأدب وتدرسه من حيث النشأة – الماهية أو الطبيعة والخصائص- الغايات.

نظرية الأدب ليست جديدة وهي ذات أشكال متعددة ولكن التسمية أو النظرية كمصطلح جديد " النظرية إذن موجودة من قبل ولكن يمكن القول إنها ميتة وآن لها أن تحيا بعدئذ، النظرية تجعلنا نقوم بالعمل بوعي ، نسأل لماذا نفعل هذا الشيئ"[1]ت

تعريف النقد :

النقد يتجاوز التمييز بين الجيد من الكلام والردئي ، إنه أسئلة عقلية يطرحها الناقد تتعلق بمعنى العمل الأدبي ، ماذا أراد الأديب أن يقوله؟ وهو سؤال يتعلق بالمضمون ، ثم يسأل عن الكيفية التي عبر بها المبدع عن أفكاره وعواطفه فهو يتناول المضمون والشكل لتأتي مرحلة الحكم والتقويم واذن لدينا التفسير- التحليل – الحكم. ماذا قال الأديب؟ كيف قال؟ هل نجح؟

والنقد في كل ذلك يتعلق بنص أو مجموعة نصوص لأديب معين أو لمجموعة أدباء فهو له طابع تطبيقي عملي ، وهذا هو الفرق بينه وبين نظرية الأدب. والناقد بطبيعة الحال يتسلح بنظرية الأدب ليعالج الأدب وهنا التداخل.

<u>تاريخ الأدب:</u>

تاريخ الأدب يدرس الأدب من جانب تاريخي تطوري، انه يدرس حياة الأدباء وبفضل هذا النوع من الدراسات تكونت المدارس النقدية فهو يمد النقد بكثير من الأمور وتعتمد عليه نظرية الأدب حيث انها تدرس نشأة الأدب وهذه في صميم اختصاص نظرية الأدب، واذا كانت النظرية تبحث في الكليات فإن التاريخ الأدبي يهتم بالفردي والخاص يبحث عما يميز هذا الأديب أو ذاك أو تلك المدرسة.

هكذا نجد تداخلا وتكاملا بين هذه النشاطات الأدبية نظرية الأدب – النقد الأدبي- تاريخ الأدب ونلحظ تمييزا بين الثلاثة .

نعود الآن الى نظرية الأدب وقد تكلمنا عن النظرية ونتكلم الأن عن الأدب فماذ ا نعني به ماهو الأدب ؟

اعتاد الدارسون في تعريف الأدب أن يبدأوا بالعصر الجاهلي ويتتبعوا كلمة ادب ماذا تعني في الجاهلية؟ ماذا تعني في عصر صدر الإسلام- في العصر الأموي ثم العباسي ويتوقفون عند تعريف ابن خلدون للأدب وينتقلون الى العصر الحديث ويمكننا تناول ذلك ولكن باختصار.

مفهوم كلمة أدب في الجاهلية:

لم تكن كلمة أدب ومشتقاتها تدل في العصر الجاهلي على فن القول كما هو عليه الحال الآن ، بل كانت كلمة أدب تدل على المأدبة أو الدعوة إلى الطعام ، يقول شوقي ضيف : « **وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقب عن**

[1] - ديفيد كارتر: النظرية الأدبية ، تر الدكتور باسل المسالمة ، ط 1 2010 ، دار التكوين للتأليف والترجمة و النشر، سوريا. ص 17

الكلمة - أدب- فيه لم نجدْها تجري على ألْسِنة الشعراء ، إنّما نجد لفظة آدب بمعنى الدّاعي إلى الطّعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد:

نحنُ في المَشْتَاة ندعو الجَفَلَى لا ترى الآدِبَ فينا يَنْـتَقِر

ومن ذلك المأدبة بمعنى الطعام الذي يُدْعى إليه النّاس ، واشتقوا من هذا المعنى أَدُب يأدُب بمعنى صنع مأدُبة أو دعا إليها » [1]

مفهوم كلمة أدب في عصر صدر الإسلام:

وهذا المعنى الحسي تحول في عصر صدر الإسلام إلى معنى خلُقي نفسي، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال « **أدّبني ربي فأحسن تأْديبي**»[2]

فالأدب في هذا الحديث يعني التربية والتهذيب ، واللطف وحُسْن المعاشرة. وهذا المعنى اللغوي للكلمة ظل متداولا عبر العصور، ومازلنا نستخدمه لحد الساعة، ولكننا نستخدمه في المعنى اللغوي وليس الاصطلاحي. وهذ الحديث غير واضح السند ولكنه جرى على الألسنة وتقبله الناس فصار من الأحاديث المشهورة في الأدب .قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية «**إن معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت** »[3]

مفهوم كلمة أدب في العصر الأُمَوي:

كانت كلمة الأدب في عصر بني أُميّة تعني الأمثلة والشواهد التي يتم شرح الأقوال بواسطتها وأطلقت لفظة المؤدبين على طائفة من الناس مَهَمَّتُهم تعليم النّاشئة ، وخاصة من أبناء الخلفاء والأمراء إذ كانوا يعلمونهم مبادئ اللغة والحساب وأشعار العرب ، والفقه فضلا عن القرآن الكريم. ويختلف المؤدبون عن المعلمين كون المؤدبين يعلمون أبناء الخاصة ، يقول مصطفى صادق الرافعي «**أما المؤدبون فهم الذين ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة أو أولاد الملوك المرشحين للخلافة وأخذهم بفنون الآداب كالخبر والشعر والعربية ونحوها ولذلك كانوا يسمونها علم المؤدبين**»[4]

مفهوم كلمة أدب في العصر العباسي:

وظلّت كلمة أدب تطلق على المؤدبين في هذا العصر أيضا ، كما أُطلقت الكلمة على فنون المنادمة وأصولها ، والمنادمة تقتضي الغناء ، ولذلك فقد دخلت الموسيقى ضمن الآداب ، ونظرا لتقرب الشعراء من الخلفاء ومديحهم فقد استأثروا بلفظة الأدباء .

تعريف ابن خلدون للأدب عبد الرحمن بن خلدون 1332-1406م= 732-808 هـ

يعرف ابن خلدون الأدب فيقول عنه

«هذا العلم لا موضوع له ينظرُ في إثبات عوارضه أو نَفْيِها ، وإنَّما المقصودُ منه عند أهْلِ اللسّان ثَمَرَتُه، وهي الإجادة في فنيّ المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومنَاحِيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عَسَاه تَحْصُل به المَلَكَةُ من شعرٍ عالي الطبقة، وسجعٍ مُتساوٍ في الإجادة، ومسائلَ من اللغة والنحو مبثوثةً أثناء ذلك ، متفرقةً يسْتقْري منها النّاظِرُ في الغالب معظمَ قوانين العربية، مع ذكر بعضٍ من أيام العرب يفهم به ما يقع في

---

1 - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي1- العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ط11. د-ت ص 7

2 - عبد الكريم بن عبد الله الخضير: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية 1997 ص 30

3 - عامر الجزار وأنور الباز : مجموعة الفتاوي لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني 228 هـ : دار الوفاء، في 37 مجلد ص 215/18

4 - مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ آداب العرب، مراجعة وضبط عبد الله المنشاوي و محمدي البحقيري، مطبعة الإيمان، القاهرة، ص 29

أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة، والمقصود بذلك كله ألا يخفى على النّاظر فيه شيءٌ من كلام العرب وأساليبهم ومناحِي بلاغتهم إذا تَصَفَّحه، لأنه لا تحصلُ الملكة منْ حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه.

ثم إنهم إذا أرادوا حدَّ هذا الفن قالوا: الأدبُ هو حفظُ أشعارِ العرب وأخبارِها والأخذُ من كل علم بطرف، يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشّرعية من حيث مُتُونُها فقط وهي القرآن والحديث ، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كَلَفِهم بصناعة البديع من التّوْرية في أشعارهم وتَرَسُّلِهم بالاصطلاحات العلمية ، فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذٍ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها.

وسمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم أن أصولَ هذا الفن وأركانَه أربعةُ دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النّوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتُبَعٌ لها وفروعٌ عنها، وكتبُ المحدثين في ذلك كثيرة.

وكان الغناء في الصّدر الأول من أجزاء هذا الفن، لما هو تابعٌ للشّعر إذِ الغناءُ إنما هو تلْحِينُه، وكان الكُتَّاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسَهم به حِرْصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، فلمْ يكن انتحالُه قادِحًا في العدالة والمروءة ، وقد ألَّف القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابَه في الأغاني جمعَ فيه أخبارَ العرب وأشعارَهم وأنسابَهم وأيّامَهم ودولتهم ، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتَمَّ استيعاب وأوفاه، ولعمري إنه ديوان العرب وجامعُ أشتات المحاسن التي سَلَفَتْ لهم في كل فنٍّ من فنون الشّعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك نعلَمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنَّى له بها؟»[1]

يتناول ابن خلدون في هذا النص علم الأدب من حيث تعريفه وطبيعته، وقد تناول هذا الموضوع ضمن حديثه عن العلوم التي قسمها إلى صنفين : صنف عقلي وصنف نقلي ، والصنف النقلي يتمثل في العلوم الشّرعية التي حددها في علوم القرآن من تفسير وقراءات وهذه العلوم تعتمد على علوم اللسان التي منها اللغة والنحو وعلم الآداب، وإذن فابن خلدون يرى أن الآداب علوم مساعدة لمعرفة الشريعة ، فالغرض إذن القدرة على فهم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. وهو في حديثه عن الأدب يجعل موضوعه شاسعا غير محدد ، فليس موضوع الأدب هو المهم بل المهم الإجادة في القول شعرا كان أو نثرا وذلك باتباع سنة العرب في القول وقد عدد العناصر الواجب الاهتمام بها والمتمثلة في الشعر العالي الطبقة، والسجع، ومسائل اللغة والنحو، وذكر أيام العرب أي حروبهم، والأنساب الشهيرة، وبعض الأخبار العامة. ثم عاد فقال في حد الشعر إنه **حفظُ أشعارِ العرب وأخبارِها والأخذُ من كل علم بطرف.** وحدد ابن خلدون مصادر الأدب والمتمثلة في :

1. أدب الكاتب لابن قتيبة،
2. كتاب الكامل للمبرد،
3. كتاب البيان والتبيين للجاحظ،
4. وكتاب النّوادر لأبي علي القالي البغدادي،

1 - عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص 265

والملاحظ أن ابن خلدون يضيف الغناء إلى حقل الأدب رابطا بينه وبين الشعر، وهو يرى أن العرب لم يعرفوا الغناء إلا لما جاءهم الترف وغلب عليهم الرّفه بما حصل لهم من غنائم الأمم ، وتحولوا إلى نظارة العيش ورقة الحاشية واستجلاء الفراغ، وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران لأنها كمالية. وبعد أن يقسم كلام العرب إلى منظوم ومنثور يضيف أن للأمم الأخرى أشعارها، ويرى أن الشّعر ملكة وهو يفرق بين اللفظ والمعنى ويرى أن المعنى كالماء يتم صبه في آنية. هذه الآنية قد تكون ذهبا أو فضة أو نحاسا لكن الماء واحد والمعنى كذلك[1]

مفهوم الأدب في الثقافة الغربية

لا يختلف مفهوم الأدب في الثقافة الغربية كثيرا عن مفهوم الأدب عند العرب ، فقد كانت الكلمة فضفاضة لا تكاد تعبر في الثقافة الأنجليزية عن تخصص محدد ولذلك وصفها أحدهم بالقول ليس لكلمة الأدب وزن عندي ، إذ تبدو لي فارغة من المعنى وما هي إلا منتج الفساد الفكري ، فلم تكن كلمة أدب تعني فلسفة أو تاريخا أو معرفة أو نقدا أو أي شئ آخر ، إنه شئ غامض لا يحس ولا يدرك ، ومع مرور الزمن سار المصطلح نحو التحديد فصار يطلق على الأعمال ا أدبية الإبداعية . والأمر نفسه في اللغة الفرنسية ، فمن قبل كان الأدب عاما شاملا لكل ماهو قيد الطبع ، ولذلك فهو مرتبط بالحضارة ، ثم بدأ يسير نحو الدقة فعرفه فولتير بالقول إنه معرفة الأعمال ذات الذوق الرفيع مع شئ من العلم بالتاريخ والشعر والفصاحة والنقد. وأجمل فا تيجم تعريفه بالقول الأدب يقوم على الفكرة والأداة .

الأدب إبداع

انتهى مصطلح الأدب بعد مسيرة طويلة إلى الرسو عند صورته الحالية كونه انتاجا أدبيا إبداعيا وله صور عديدة أشهرها الشعر والنثر وهو يقوم على الفكرة والقالب الأدبي[2] ، وعليه يمكن القول إن كل شئ يصلح أن يكون أدبا والمعول عليه صدق الشعور وحسن التعبير ، يقول محمد غنيمي هلال هذان العنصران يتمثلان في جميع صور الإنتاج الأدبي

1 - سعيد المولودي : (حول مفهوم الأدب عند ابن خلدون) ، مجلة علامات ، مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب، العدد 27سنة 2007

2 - د. محمد سيد متولي: نظرية الأدب (فيديو) اللقاء الأول ، كلية دار العلوم، التعليم المفتوح https://youtu.be/co2ociyM4cs بتاريخ 02-07- 2020